

السعودية وصفقة نادي نيوكاسل: عندما يغيب النضج ويحضر العناد



بكلم: توفيق رباحي/ كاتب جزائري

فشل صفقة استحواذ السعودية على نادي نيوكاسل يونايتد الإنجليزي لكرة القدم منطقي وكان متوقراً. وانسحاب السلطات السعودية من الصفقة قرار صائب، نادر، وسط مسلسل من التخبّط الدولي وقعت فيه المملكة خلال السنوات الأخيرة بلا داعٍ.

ليس هناك شك في أن السلطات السعودية، ممثّلة في صندوق الاستثمار العمومي، انسحبت من صفقة نادي نيوكاسل من قناعة بأنها ستخسرها لا محالة. كان واضحاً منذ اليوم الأول أن الصفقة متعثرة، لأنها انطلقت محاطة بالألغام ووسط أجواء «غير صديقة» للسعودية. كما أنها ترافقت مع، أو كانت على خلفية، أخطاء كثيرة وارتباك كبير من جانب الرياض.

هذا من حيث السياق العام. أما الأسباب المباشرة فحُصرت رسمياً في عجز الرياض عن إثبات أن صندوق الاستثمارات العمومي منفصل عن السلطات السياسية. وأيضاً ضعف الحجج والبراهين التي ردت بها على

الاتهامات الخطيرة بسرقة بث منافسات رياضية دولية، أبرزها الدوري الإنكليزي الممتاز. في الحالتين، سرقة الحقوق وتبعية المندوق، كانت الرياض أمام منازلة خاسرة لأن العالم كله يعرف أنها فعلاً سرقت بـ الدوريات، ويعرف كذلك أن صندوق الاستثمار لا يمكن أن يكون مستقلاً عن الحكم ورئيسه هو الحاكم الفعلى للملكة، محمد بن سلمان.

أيضاً، إذا وضعنا الموضوع في سياقه، يصبح جائز القول إن رغبة السعودية في الاستحواذ على نادي نيوكاسل برزت مدفوعة بخلط من الغيرة والتقليد بعد نجاح تجربتي قطر مع نادي باريس سان جيرمان الفرنسي، وأبوظبي مع نادي مانشستر سيتي الإنكليزي. هذه الرغبة الجامحة جعلت القيادة في الرياض يتنا夙ون معطيات أخرى كثيرة في غير صالحهم قادت، في نهاية المطاف، إلى انهيار الصفقة.

لكن الأهم من التفاصيل أن الانسحاب من الصفقة سيحمي السعودية من مزيد من الإزعاج والفضائح. هذه الصفقة لم تفعل سوى أن سلطنتها المزدوجة من الأصوات السياسية والإعلامية على خطأ وخطايا المسؤولين السعوديين، وما أكثرها. إلى جانب سرقة بث دوريات أوروبية تعود حقوقها حصرياً لشبكة «بي إن سبورتس» القطرية، هناك قضايا حقوق الإنسان والتنكيل بالناشطين والناشطات، التي باتت تلاحق القيادة السعودية حيثما حلّوا.

نحن إذًا، أمام مشهد سعودي يفتقر للنضج والذكاء، ولرؤيه تدرك الأبعاد الدولية لأي تحرك في هذا الزمن المعقّد. عندما تكون ملوكنا بكل هذه الخطايا، من الأفضل لك أن تلعب بعيداً عن الأصوات. كان أخرى بالمسؤولين السعوديين انتظار وقت أفضل للخوض في هذه الصفقة المغربية والمزعجة في ذات الوقت. أيضاً، وسط الدعاية السلبية الملزمة للسعودية وتحركاتها الخارجية، كان أجدر بحكام المملكة الابتعاد عن الكرة الإنكليزية وأصواتها وصافتتها التي لا تفوتها شاردة أو واردة، خصوصاً عندما يتعلق الأمر بالمشاهير والأثرياء وفضائح رموز الكرة من لاعبين ومدربيـن وملاك نوادي.

كرة القدم صناعة لا تقل خطورة ونفوذاً ودخلـاً عن الصناعات الحربية وتقنيـولوجيا المعلومات. ومن الطبيعي ألا يتسمـح الأوروبيون مع التلاعب بها عندما يكون هدفك الرئيـسي ببلادك إلى مصاف الدول الكبرى الجاذبة للاستثمار الدولي والاهتمام العالمي، وفي الوقت ذاته تقدـم على قتل صاحـافـيـن من قـامـةـ جـمالـ خـاشـقـجيـ في تلك التفاصـيلـ المـأسـاوـيةـ، دونـ أنـ تـضعـ اـحـتمـالـ أـنـهـاـ قدـ تـلاـحقـ وـتـتـعـربـكـ طـويـلاـ، فأـكـيدـ أـنـكـ محـاطـ بـمـسـتـشـارـينـ مـفـلـسـينـ، أوـ أـنـكـ أـنـتـ ذـاكـ لـمـ تـبـلـغـ بـعـدـ مـسـتـوىـ النـصـجـ الـذـيـ يـؤـهـلـكـ لـقـيـادـةـ دـوـلـةـ.

الشيء نفسه يقال عن سجن الناشطـاتـ الحقوقـياتـ. الـقـادـةـ السـعـودـيـونـ خـلـقـواـ لـأـنـفـسـهـمـ منـ حـالـةـ النـاشـطـاتـ

النسائيات عقدة احتاروا في حلها .. إذ تبيّن الان أن الإفراج عنهن مشكلة وإبقاءهن في السجن مشكلة أكبر. ولا يختلف الأمر مع رجال الدين وأساتذة الجامعات الموقوفين والمعارضين المطارَّدين في الخارج بسبب أرائهم المخالفة لأراء الحاكم، أو رفضهم دعم سياساته.

أن ترفع سقف طموحاتك وطموحات بلادك إلى عنان السماء، ثم ترتكب كل تلك الاعتقالات والتعسف معتقداً أنك فوق المحاسبة، ودون أن تعي أنك حتى لو توأطَّأت معك حكومات ودول مثل أمريكا وبريطانيا، وأن العالم فيه صحافة حرة ومجتمع مستقل ومنظمات غير حكومية لا ترحم، فأنت بالتأكيد تعاني من خلل في إدراك حقيقة المشهد الدولي.

وعندما يكون هدفك خدمة نفسك وببلادك دولياً ومزاحمة الكبار، ثم تسمح لأحد من حولك بقرصنته منا فسات رياضية دولية يتقاتل الآخرون للظفر بحقوق بيتها ويدفعون أموالاً طائلة مقابل ذلك، دون أن تستوعب خطورة هذا الفعل، فأكيد أنت تعاني من مشكلة كبرى، وأنك بحاجة لمن يعلّمك أن الدوريات الأوروبية هي إحدى أكبر ماكينات إنتاج الثروة. كرة القدم صناعة لا تقل خطورة ونفوذاً ودخلًا عن الصناعات الحربية وتقنيات المعلومات.

ومن الطبيعي ألا يتسامح الأوروبيون مع التلاعب بها. كان على كبار المسؤولين السعوديين أن يدركوناً هذا ويمنعوا بأي ثمن بـ«بي آوت كيو» المسروق. لكنهم بدلاً من ذلك، غضّوا الطرف وتركوا العنوان لطيش جيوشهم الإلكترونية تشتم الآخرين وتتباهى بـ«إنجاز العظيم».

في «سانت جيمس بارك»، معقل نادي نيوكاسل العريق، لم يكن الحضور السعودي متناسقاً مع نفسه ومع الهدف المبغي. كان على طرف نقير معه. لذا خسرت الرياض هناك معركة نزاهة وسمعة، قبل أن تخسر صفقة تجارية ومعها 17 مليون دولار هي جزء من العربون المقدّم سلفاً. ولتزيد الطين بلة، وبدل استخلاص الدروس والتحسب للتجارب المقبلة، راحت السلطات السعودية في اليوم ذاته (الخميس الماضي) تعلن الطعن في حكم منظمة التجارة العالمية صدّها في دعوى سرقة حقوق الملكية التي رفعتها «بي إن سبورتس» القطرية. الطريف أن الرياض طعنت في حكم تباهت أذرعها لأكثر من شهر أنه في صالحها! علامة أخرى على الافتقار للنضج؟ بالتأكيد. أما الطعن فهو فقط رسالة عناد و McKabre لأن الخصم، هو الشقيقة الصغرى، قطر. لو كان الخصم دولة أخرى والخلاف في سياق آخر، لتجاوزت الرياض الأمر ومضت لشُؤونها. أما في ظل المزاج الخليجي المتدهور منذ صيف 2017، فمن الصعب أن تستسلم السعودية لحكم في صالح قطر حتى لو كلفها عنادها المستحيل.

المشكلة أن نتيجة النهاية للطعن، إن قُبِّل ونُظر فيه، لن تختلف، على الأغلب، عن نهاية صفة نادي نيوكاسل. فهل في الرياض رجل رشيد يجعل من الطعن الحلقة الأخيرة في مسلسل غير شيق، والعلامة الأخيرة على غياب النضج؟ هذا النضج هو أكثر ما يحتاجه قادة السعودية الآن ليكفوا عن أنفسهم أذاهم لأنفسهم.